



على الرغم من أن المفاوضات بين كل من أحرار الشام وجبهة تحرير الشام من جهة، والإيرانيين من جهة أخرى، في ما يتعلّق بمبادلة سكان كفريا والفوعة في ريف إدلب بسكان الزبداني، في ريف دمشق، ليست جديدة، وقد كان هناك اتفاق قبل قرابة عام لم ينفذ بين الطرفين، إلا أن توقيت عودة الإيرانيين إلى محاولة تنفيذ الصفقة يكشف جانباً مهماً من جوانب مشروعهم في سوريا، وهو الهندسة الطائفية الديمografية.

ليس الحديث عن عملية التطهير الطائفي جديداً أيضاً، فقبل هذه المفاوضات، كان السلوك الإيراني بأسره في سوريا يقوم على البعد الطائفي في الإحلال والاستبدال السكاني، إذ تم ترحيل سكان داريا، وبعض المناطق في ريف دمشق وبعض أحيائها، باتفاقيات مع المقاتلين السنة، بعد عملية تجويع وحصار ودمير طويلة، وكذلك الحال في ما يتعلق باتفاق حي الوعر في حمص، بعد أن تم تهجير أغلب سكان المدينة السنة منها.

الجديد في المفاوضات الحالية، أن المنظور الإيراني أكثر سفراً ووضوحاً فيها، إذ يتم بمبادلة سكان بارض على أساس طائفية، ما يكشف، في الجانب الآخر، التباين والاختلاف بين الأجنديتين، الروسية والإيرانية، وحرص طهران على تثبيت نفوذها وقوتها عبر وقائع وحقائق جديدة على الأرض، لا يستطيع الروس أنفسهم تجاوزها، في حال توصلوا إلى تفاهماتٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ مع الأميركيين على الأرض، ولا حتى النظام السوري، إذ إن السكان الجدد في سوريا الجديدة، من أنصار حزب الله في لبنان وعائلاتهم، أو حتى من الجنسيات الأخرى، إيرانية وأفغانية وغيرها، يدينون بالولاء الكامل لطهران.

ليس ذلك فحسب، بل حتى عسكرياً تقوم طهران ببناء مليشيات في سوريا، وتسلیحها وتشکيلها، على غرار حزب الله اللبناني والحشد الشعبي العراقي، بما يشكل قوةً ضاربةً على أرض الواقع، تعمل على ضمان مصالح طهران في سوريا. ليس الروس أغيباءً، يدركون تماماً أن طهران التي دفعت كلفةً كبيرةً في سوريا خلال الأعوام السابقة، مالياً وعسكرياً، لن تتخلى عن ذلك بسهولة. لذلك، سيعايش الروس مع الأجندة الإيرانية في سوريا، ويعملون على توزيع الأدوار وتنسيق

المصالح المتبادلة، معأخذ حصتهم من الكعكة التي سيكون الجزء الأكبر منها للإيرانيين في المناطق التي يسيطرون عليها مع النظام السوري.

يتمثل حلم طهران لتكريس نفوذهم في المنطقة في بناء خط استراتيجي من إيران إلى البحر المتوسط، مروراً بالعراق وسوريا، وهو الخط الذي سيعتمد على عملية الهندسة الطائفية الجارية حالياً في دمشق وحمص، وصولاً إلى اللاذقية، وتواصل نفوذ حزب الله من لبنان إلى سوريا.

نشرت صحيفة الغارديان، أخيراً، تقريراً صحفياً مطولاً عما تقوم به إيران حالياً من عملية تطهير طائفي في سوريا، ومشروعها الذي تحدثنا عنه، وتحدد التقرير عن التغييرات الجوهرية في هوية العاصمة دمشق نفسها ثقافياً من خلال حضور الرمزيات الشيعية والتغييرات السكانية.

هذا الاكتشاف الجديد، وللمفارقة، الذي يتزامن مع مفاوضات الزيداني - كفريا الفوهة، كان قد تحدث عنه سابقاً في مقال خطير مطول، المعارض السوري، برهان غليون، وعلى صفحات "العربي الجديد"، عندما كشف عن جوهر مخططات إعادة الإعمار في حمص ودمشق، التي تقوم أساساً على مفهوم الهندسة الطائفية.

وجه المفارقة في الأمر أن غليون نشر مقالته في بداية سبتمبر/أيلول 2015، في أثناء المحادثات الأولى بين حركة أحرار الشام والإيرانيين حينها حول الصفة نفسها، الزيداني - كفريا الفوهة. وحينها تم تسريب بنود الاتفاق الذي رجحت التحليلات بعد ذلك أن النظام السوري، الذي لم يكن حاضراً خلال المفاوضات حينها، قام بتعطيله بطرق التفافية مختلفة، لكن تجديد الإيرانيين الحرص عليه يظهر بوضوح ثبات موقفهم وإصرارهم على رؤيتهم لمستقبل سوريا، على الرغم من التدخل الروسي، والتحولات والمتغيرات الجارية، والإدارة الأمريكية الجديدة.

في المحصلة، في جوار الأجندة الدولية والمفاوضات السياسية في جنيف وأستانة، هنالك مفاوضات أخرى، لا تقل أهميةً بل تزيد، حول الترسيم الحقيقى لهوية سوريا ومستقبلها ودوائر النفوذ.

العربي الجديد

المصادر: